قصص قصيرة

صابرين الصباغ

طهي الوجع

ليتني أستطيع تقطيع لحمي وطهيه لهم!... أوجعني ابني الصغير عندما قال:

- أمي، أشتهي أكل اللحمة.

لأول مرة أرى الحروف مسنونة كسكاكين حادة تمزق، دون أن تعبأ بحجم نزف الجروح، ما أقسى قلة الحيلة، وأن يضع عمرك يده على صدغ حياتك ينتظر لا شيء.

بت أدخر الربع والنصف جنيه، وعندي قطعة قماش جديدة، ووعاءان من الألومنيوم بعتهم لجارتي.

كل يوم أفتح العلبة، التي أدخر فيها، وأشمها حتى توهمت أن رائحة العلبة كرائحة اللحم!... قرب المبلغ من ثمن كيلو لحم بالعظم.

قبلتُ ابني، وأخبرته أن هناك مفاجأة على الغداء، سرتُ، لا بل طرتُ وأنا أتشبث بمنديلي الذي أُخفي فيه جنيهاتي الهزيلة.

انتفخ صدري من السعادة، وأنا أدخل محل الجزارة، وأرى اللحمة المعلقة تنادي الأفواه.

تذكرت... كم مرة مررت أمامها دون أن أعيرها اهتمامًا؛... فقد دربت نفسي وأدبتها على ألا تنظر إلى ما لا تستطيعه.

فتحت منديلي، وخزينتي، أخرجت النقود، ومددت يدي بها إلى الجزار بمنتهى السعادة وقلت... لا بل صرخت:

- كيلو لحم بالعظم، ورجاء قلل قطع العظم فهى لأطفالي الصغار.

شعرت وكأنها ساعات مرت!... وهو يخرج اللحم من الثلاجة، ويضعها أمامه، ويحضر السكين، ويضرب

اللحم بيده يعدل من وضعها، وبدأ في تقطيعها، وعيني تهرول سبعة أشواط مع السكين ذهابًا وإيابًا، حتى تفجرت زمزم فرحتي!... لترقص عيني فوق حدها، وأنا أتخيل أبنائي، وهم يأكلونها وينزعون العظم بسعادة لتخليص اللحم منه.

استيقظ على صوت الجزار:

- أهلا يا باشا تفضل، جهز ياولد طلب الباشا المعتاد، أثنان كيلو لحم بالعظم للكلاب.

حجر كريم

أوقفَهُ عند نقطة التفتيش.. ينظرُ للجندي بعينيهِ البريئتين.. تنسابُ منهما نظرةٌ باكيةٌ

يجذِبُ حقيبتَهُ من يدهِ التي تمتلئ بكتبهِ الصغيرة مثله.. وجهُهُ الواجِمُ يُرسِلُ نبضاتِ استفهام .

ماذا تُريدُ من حقيبتي؟ لا أحمِلُ داخلها سوى كتبي ودفاترى .

عن أي شيءٍ تبحثُ متفجرات؟ حقيبتي ليست مفخخة؛ بل إنَ عقلي وروحي ودمي مدجَجةٌ بالأسلحة.

يُخرِجُ الجندي كراسةَ الرسمِ..

فتحَ أولَ صفحةٍ .. بها علمٌ مُحترِقْ.. يغضب .

يطوي صفحةً .. فيرى رسماً لبندقيةٍ تُطلِقُ عياراً نارياً.. يشتدُ غضَبهُ .

يطوي صفحةً أُخرى .. فيجِدُ شاباً متدثراً بالمتفجراتِ.. فيشتاطُ غيظاً .

ويمدُ الطفلُ يدهُ على الأرضِ ليلتقطَ حجراً؛ وما إن يراهُ حتى يجري صارخاً..

لا .. لا تنزع فتيلها .

الضائعة

سيدتي لم أخفِ عليه، ولم أفعل شيئا إلا بعد أخذ موافقته، برغم صغر سنه فهو لم يتجاوز الثالثة عشرة.

تركنا والده، منذ أن كان عمره تسع سنوات في حادث ألتهم أمننا وأماننا .

ترك غرفته، وشاركني غرفتي، تغطيه أنفاسي وهو يدفئني بذراعيه النحيلتين.

كانت تمر عليَّ ليال باردة لم يقتل بردها آلاف الأغطية! فأصبحت هناك علاقة طردية بين الغطاء والبرد. فكلما زاد الغطاء زاد البرد توحشًا!

أنوثتي التي تخيلت أنها رافقت زوجي لقبرة، عادت للأسف لتؤرقني بضعفها، واحتياجها إلى رجل يحنو على عجزها .

قابلته ووجدته اليد الحانية، لكني كلما نظرت لرجلي الصغير أخاف.

فأستشرت صديقتي، فكان ردها :

- لن يقتل بردك إلا دفء رجل.

عبارتها كانت هي قوة الدفع لأن أحظى بهذا الدفء، وكأني أتخذتها ذريعة لتكون هى الحل الوحيد والأمثل .

استشرت رجلي الصغير فلم يوافق ولم يرفض بل صمت، ألححت عليه؛ ليس طلبًا في موافقته بل لأريح ضميري تجاهه، وحدث ماتمنيت.

نسيت لحظة رهيبة لم أفكر فيها؛ عندما وقف الاثنان أمام باب غرفتي،تجاذبنى شعوران فتمزقت بينهما: عينا ابنٍ بهما حسرة قاتلة؛ على جلائه من وطنه، والآخر عيناه تنضحان بسعادة مستعمر.

لحظة عمرها خمسون ألف سنة مما تعدون!

تكلس لعابي بحلقي، وتمدد صوتي فوق أحباله فاقدًا وعيه!

كل منهما ينتظر قراري، طفلي ينتظر إعدامه وتحويل أوراقه إلى غرفته وحيدًا، والآخر يمد يديه، ليحصل على عرشه الجديد، ليرفع عليه أعلامه.

تركتهما يتنافسان، ورحلت، أشعر أني لم أعد إلى الآن برغم وجودي بينهما!

نبض الباب

شاب العمر، تهدمت أركانه!

نجلس أنا وزوجي نسامر وحدتنا، نتذكر الأيام الخوالي ..

هذا البيت الصامت الذي كان يشع ضجيجا يسعدنا، كنا نلهو بأرجوحة تسمى الحياة.

ويوماً ...

- ألا تسمع طرقات على الباب؟

- كلا، لا أسمع شيئًا .

- هناك من يطرق الباب لعلهم أحبابنا.

- قلت لك لا يوجد أحد.

- أرجوك، إنهم هم قلبي يخبرني بهذا.

يذهب ويعود...

- ألم أقل لكِ لا يوجد أحد.

- أرأيت.. تباطأت في فتح الباب فظنوا أننا بالخارج، ورحلوا، يا ترى متي سيعودون؟

أعود لأسمع همس أعضائي؛ تئن ألماً من حمل تلك السنوات الكثيرة .

ليلاً...

- استيقظ، هناك من يطرق الباب .

- أرجوكِ نامي، لن يأتي أحد في هذا الوقت المتأخر.

- صدقني طرقاتهم هى التي أيقظتني.

- أرجوك، إنها تهيؤات .

بدأت تبكي ليصدق قلبها الذي سمع طرقات أحبابه.

رق لها قلبه؛ فنهض يحاول إيقاظ قدميه الناعستين،... عاد.

- قلت لكِ لا يوجد أحد.

) -باكية) لي ساعة أوقظك حتى ذهبوا، ترى متى سيعودون مرة أخرى؟

تمر الأيام ليرحل آخر صوت كان يشعرها بطعم الحياة، فتنهشها الوحدة وتقتلها سيوف الصمت.

تسمع طرقات على الباب...

تستحث قدميها للسير، تتحرك الأولى وتستجدي الثانية لتلحق بأختها، فتعاندها، وبعد حروب طويلة تصل إلى الباب فلا تجد أحدًا.

- أه منكما صرتما هرمتين لا تقويان على حملي والسير بي حتى الباب ، ليتني

فقدتكما فلا فائدة منكما بل صار وجعكما لايحتمل من تلك الآلام التي تنتشر بكما .

تجلس تفكر كثيرا..

- نعم، إنها فكرة جيدة .

تدفع الكرسي العتيق الذي التهم جسد عمرها، وقد صار ثقيلا لا تقوى على دفعه! تحدثه ...

- تحرك، أتذكر عندما كنت ألكزك بإصبعي فتفر مذعورا أمامي.

وبعد معاناة طويلة... كأن الكرسي يلتصق بمكانه، ولا يريد أن يبرحه أو أن الأرض تتمسك بأقدامه خشية أن تفقد لمساته على وجهها.

أخيرا يقترب الكرسي من الباب.. فجلست عليه صامتة..